(أعظم قائد في التأريخ رغم أنوف الأعداء)

خطبة الجمعة ١٤٣٦/٤/٣

بقلم : د. خالد الحسن .

إن الحمد لله نحمده ،،،،،،

وبعد :

لقد كان الناس في جاهلية جهلاء ، يقتل بعضهم بعضا ، ويسرق بعضهم بعضا ، القوي يقتل الضعيف ، والغني لا يعطف على الفقير ، بل كانوا يعبدون الأصنام ، يعبدون الحجر والشجر ، بل إن بعضهم يصنع له صنما من التمر ، فإذا جاع أكله ، وكان بعضهم إذا ذهب في طريق ثم أراد أن يتناول الغداء ، توقف وذهب يبحث عن ثلاث حصيات ، ثنتان للقدر ، وواحدة يسجد لها ، كان الواحد منهم إذا رزق بأنثى اسود وجهه وانطلق يدفنها وهي حية ، يصنعون ذلك خوفا من العار وتوفيرا للمال - كما زعموا - قال ﷻ ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ﴾

عباد الله :

وبينما هم كذلك بعث الله فيهم محمدا ﷺ بعثه رحمة للعالمين ، فآمن به نفر قليل ، منهم أبو بكر الصديق وعلي وخديجة ، وكذبه أناس كثير ، وآذوه وعادوه .

ومضى رسول ﷺ ينفذ أمر ربه ، ويدعو الناس إلى عبادة الله وحده ، يدعوهم إلى الإسلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور ، وسار على ذلك يدعو الناس سرا ، وبعد أن مضى ثلاث سنوات ، أمره الله أن يصدع بالأمر ، وأن يدعو جهرا لا سرا ، فقال ﷻ ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ قال ﷻ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ .

وظهر أمر رسول الله ﷺ وانتشر خبره ، فقام رجال من أشراف قريش ، وذهبوا إلى أبي طالب فقالوا : يا أبا طالب إن ابن أخيك سب آلهتنا ، وعاب ديننا ، وسفه أحلامنا ، وظلل آباءنا ، فإما أن تكفه عنا ، وإما أن تخلي بيننا وبينه ، فقال لهم قولا رقيقا ، وردهم ردا جميلا ، فانصرفوا عنه .

أيها المسلمون :

وواصل رسول الله ﷺ دعوته ، وأبو طالب يدافع عنه ، حتى انتشر خبره في كل مكان ، فتذمرت قريش ، وحرض بعضهم بعضا على رسول الله ﷺ ، فانطلقوا مرة أخرى إلى أبي طالب ، وقالوا له : يا أبا طالب ، إن لك سنا وشرفا ومنزلة فينا ، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا ، وإنا لن نصبر على هذا ، حتى تكفه عنا ، أو ننازله في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين ، فجاء أبو طالب إلى رسول الله ﷺ وقال : ياابن أخي إن قومك قد جاؤني فقالوا كذا وكذا ، فأبقي علي وعلى نفسك ، ولا تحملني من الأمر مالا أطيق ، فدمعت عينا رسول الله ﷺ وظن أن عمه أبا طالب سيخذله ويسلمه لقريش ، فقال ياعم : والله لو وضعوا السمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته ، ثم استعبر رسول الله ﷺ وبكى ثم قام وذهب ، فلما ولى ناداه عمه ، وقال أقبل ياابن أخي ، فأقبل عليه فقال : اذهب ياابن أخي فقل ما أحببت ، وتكلم لما شئت ، فوالله لا أسلمك لشيئ أبدا .

فعلمت قريش أن أبا طالب أبى خذلان الرسول ، فذهبوا إليه وقالوا : نعطيك من أولادنا ما تشاء وأعطنا ابن أخيك نقتله ، فغضب أبوطالب وقال : بئسما تسومونني ، هذا والله لا يكون أبدا .

أيها المسلمون :

ومضى رسول الله ﷺ يبلغ أمر ربه وهو مطمئن البال ، فالله معه في كل وقت ، ثم معه عمه أبو طالب يدافع عنه ، وزوجه خديجة يشكو إليها وتؤازره وتناصره .

عباد الله :

لما علمت قريش أن أبا طالب مرض وظنوا أنه سيموت في ذلك المرض ، جاؤا إليه وقالوا له : يا أبا طالب قد علمت ما بك اليوم من المرض ، فاجعل بيننا وبين ابن أخيك مخرجا ، فخذ منا ما تشاء وليعطنا ما نشاء ، فأرسل أبو طالب إلى الرسول ﷺ ، فجاءه وكان عنده كبراء قريش ، فقال أبو طالب لابن أخيه هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا ليعطوك وليأخذوا منك ، فقال ﷺ : نعم يعطوني كلمة واحدة يملكون بها العرب وتدين لهم بها العجم ، فقال أبو جهل : نعم ، بل لك عشر كلمات ، فقال ﷺ : قولوا لا إله إلا الله ، فغضبوا أشد الغضب ، وقالوا : أجعلت الآلهة إله واحدا إن هذا لشيئ عجاب .

ومضى رسول الله ﷺ ينفذ أمر ربه بكل قوة وثبات ويدعو إلى الله وإلى ترك الجهالات والسخافات .

ولكن عباد الله :

جاءت المصيبة العظمى على رسول الله ﷺ فمات أبو طالب وخديجة في عام واحد ، فتتابعت المصائب على رسول الله ﷺ ، فنالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى مالم تكن تطمع به في حياة أبي طالب ، حتى وصل الأمر إلى أن جاء سفيه من سفهاء قريش فنثر على رسول الله التراب ، ودخل إلى بيته والتراب على رأسه ، فقامت إحدى بناته فغسلت عنه التراب وهي تبكي ، فقال لها : يابنية لا تبكي فإن الله مع أبيك .

وكان ﷺ يقول : ما نالت مني قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب .

نعم عباد الله :

لما مات أبو طالب اشتد أذى قريش للرسول ﷺ فنالوا منه ، فخرج ﷺ إلى الطائف يبحث عن أحد ينصره ويحميه ويؤمن به ، فلما وصل إلى الطائف ذهب إلى نفر من ثقيف وعرض عليهم الإسلام وطلب منهم أن يساعدوه وينصروه على عدوه ، فقالوا بكل قبح واستهزاء : أما وجد الله أحدا غيرك يرسله ؟ فقام ﷺ من عندهم أسفا ، فضحكوا منه ، وأرسلوا عليه أولادهم وسفاءهم يطاردونه ويرمونه بالحجارة ، فهرب إلى حائط كان هناك ، ثم رجع السفهاء بعدما أدموا عقبيه بالحجارة ، فصبر الرسول على ذلك ، ورفع يديه إلى خالقه ومولاه فقال : اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربي ، إلى من تكلني ، إلى بعيد يتجهمني ، أم إلى عدو ملكته أمري ، إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ، غير أن رحمتك أوسع لي .

عباد الله :

ثم رجع ﷺ إلى مكة مصرا على مواصلة الدعوة ، وكان أهل مكة أشد ما كانوا عليه من العداوة للرسول ، إلا نفر قليل من المستضعفين الذين آمنوا به ، فبدأ ﷺ يعرض نفسه في المواسم على قبائل العرب ، ويدعوهم إلى الإسلام ، فآمن به نفر من الأنصار ، واشتد عزمه ﷺ حتى إذا كان في العام المقبل واصل دعوته في المراسم ، فكانت بيعة العقبة الأولى .

أيها المسلمون :

ثم تتابع النصر لرسول الله ﷺ وكثر أتباعه ، وهاجر المسلمون إلى المدينة ، واستقبلهم الأنصار ، وازداد عدد المسلمين ، ثم توالت الغزوات والفتوحات .

عباد الله :

أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم ولكل مسلم من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .